قدوم الإسلام في كيرالا

- عبد الغفور القاسمي
عميد مركز الثقافة الإسلامية، كندور، ملابرام

جرت مباحثات عديدة و محاورات كثيرة ومناقشات شتى بين المؤرخين حول موضوع قدوم الإسلام فى كيرالا. و بعض المؤرخين يدّعي أن الإسلام قد انتشر فى كيرالا فى القرن الثاني الهجري، و البعض الآخر يقول إنه دخل فيها فى عهد النبي (ص). و طائفة من المؤرخين الإنجليزيين يعلقون دخول الإسلام في كيرالا بحملة ابن القاسم على السند قصدا لتشويه وجه الإسلام و المسلمين. و غايتهم الغامضة و راء هذ الادعاء تهييج الكفار وإثارة العداوة بين الهنادكة و المسلمين. بإلقاء التهمة فى أذهانهم على أن الإسلام قد انتشر بالحملة و اتسعمال السيف. و إن سلم هذا الدعوى فلا يصح على أيّ حال أن يكون سببا لقدوم الإسلام فى ولاية كيرالا لأنها بعيدة جدا من بلاد السند و ما جاورها بأكثر من ألفي كيلوميتر، و كان الإسلام معروفا فيها قبل ذلك بسنين كما هو معلومد.

كيف بدأ الإسلام في كيرالا:

و مما لا نزاع فيه أن كيرالا أول بقعة تنور فيها نور الاسلام فى شبه القارة الهندية. يعلّق بعض المؤرخين وصول الإسلام في كيرالا بالمسافرين من العرب الى سيلان لرؤية أثر قدم أبينا آدم (ع) الراسخ فى جبل آدم المعروف وفي أثناء رحلتهم استراحوا فى كودنغلور العاصمة القديمة لكيرالا. ولما استخبر الملك "تشيرمان برمال" عنهم دعاهم اليه ورحّبهم ترحيبا حارا و أحسن ضيافتهم وسألهم عن دينهم و رسولهم. ولما علم منهم عن الإسلام و الرسول ورآهم متحلين بأخلاق حسنة و متزينيين بأوصاف كريمة ألزمهم للرجوع إليه فى عودتهم و وعدهم مرافقته بهم الى الرسول. فلما عادوا إليه تهيأ الملك للخروج معهم تاركا امر السلطنة لورثته. و عند وداعه دعا كلّ من له قرابة وصلة به و نصحهم و وعظهم بما يليق بحالهم.

وصل الملك الى بلاد العرب و اعتنق الإسلام فى حضرته (ص) المقدسة و كان اسمه فى الاسلام تاج الدين. ثم مكث هناك أياما مع النبي (ص) و أصحابه الأخيار.

ثم لما رجع الى بلدته لنشر الإسلام رافقه جماعة من الأصحاب و لكن الأسف كل الأسف – حين وصل موضع شجر فى سلطنة عمان أصابه مرض شديد و قضى نحبه هناك. وفى مرض موته أوصى رفقته بأن لايبطلوا السفر الى الهند و كتب لهم ورقة بخط مليبار عين فيها مكانه و أقربائه و أسماء ملوكها و أمرهم أن ينزلوا كودنغلور وأوصاهم أن لا تخبروا بمرضه ولا بموته - ان مات - أحدا من المليبارين. ولهذه الورقة التى أعطاها لهم أهمية كبرى فى انتشار الاسلام بكيرالا. وحسب ارشادات الملك سافر مالك بن دينار وأتباعه الى كودنغلور و نزلوا فى مينائها و التقوا ملكها وسلموا الرسالة إليه. فلما قرأها و علم مضمونها ابتهج غاية الابتهاج و أكرمهم وهيأ لهم كل ما يحتاجون إليه و مكنهم كل التمكين للدعوة الإسلامية و بناء المساجد. و قاموا بإشاعة الدين من سواحل كودنغلور الى ساحل منكلور و بنوا مساجد شتى فى أنحاء كيرالا.

و من الجدير من الملاحظة أن الإسلام قد انتشر فى جميع جهات كيرالا بمدة قصيرة و ازداد عدد من يدخل فيه يوما فيوما و اعتنق آلاف من المليبارين هذا الدين رغبة فى حياتهم المثالية و معاشرتهم الجميلة و أخلاقهم الحسنة ولم يتناولوا أية آلة لنشر الإسلام كما ادعاه بعض المؤرخين الإنجليزيين.

و هذه القصة قد وقعت فى عهد النبي (ص) ونقلها عديد من المؤرخين المشهورين و يروي المحدث أبو عبد الله الحاكم فى المستدرك عن أبي سعيد الخدري أنه قال "أهدى ملك هندي إلى رسول الله جرة فيها زنجيل فأطعم أصحابه كلا منهم قطعة و أطعمنى منها قطعة و قد تناول الرسول لنفسه شيئا منها"

و جدير بالنقل هنا ما كتب زين الدين المخدوم فى تحفة المجاهدين بعد سرد الواقعة. هذا خبر أول ظهور الإسلام فى بلاد مليبار وأما تاريخه فلم يتحقق عندنا و غالب الظن أنه كان بعد المائتين من الهجرة النبوية. و أما ما اشتهر عند مسلمي مليبار أن إسلام الملك المذكور كان فى زمن النبي(ص) برؤية انشقاق القمر ليلة و أنه سافر الى النبي(ص) و تشرف بلقائه و رجع الى "شحر" قاصدا المليبار، و توفي فيها فلا يصح شيئ منها. ويمكن التطبيق بينهما بتعدد الواقعة أو بالقول حسب غالب ظنه. و

لكن الأقرب و الأنسب للأدلة أن الإسلام قد انتشر فى ولاية كيرالا فى عهد النبي (ص) أورد هنا بعض الأدلة لذلك.

أولا : ان ارتباط العرب بولاية كيرالا كان قبل زمن النبي بسنوات. فلا مجال لأن لا يعرفوا عن هذا الدين فى أوائل السنة الهجرية.

ثانيا: و ان النقود التي أصدرها "أركل علي راجا" فى ١٢٢هـ شاهدة على أن الإسلام انتشر فيها فى القرن الأول. لأن تقدما مثل اصدار النقود يحتاج الى نقودمنتشر فى البلاد. وتدل الوثائق التاريخية و روايات المؤخرين أن هذه الاسرة يرجع أصلها الى تشيرمان برمال.

ثالثا: و يثبت من التواريخ المعروفة لبعض المساجد أن بنائها قد انتشر فى أنحاء مليبار قبل ١٢٠٠ سنة كمثل مسجد تشاليم و كويلاندي. هذا ينفد رأي القائل بأن الإسلام قد ظهر فيها فى القرن الثاني.

رابعا: أن مغيرة بن شعبة الصحابي وصل الى كاليكوت فى عهد الخليفة عثمان بن عفان (ر) و اسم مسجد "مغدار" مشتق من (مغيرة دار) اسمه. كما نقله أحمد كويا الشالياتي فى رسالته.

خامسا: تقع فى جنوب شرقي مدينة كنّور فى شمال مليبار لمسافة عشرين ميلا مدينة صغيرة تدعي إريكور. و فيها مقبرة قديمة معروفة باسم "نيلاموتم" و تشتمل هذه المقبرة حوالي مائة قبر أثري و على كل منها " شاهدة" واحدة (بلاطة الضريح) من الحجر الأبيض عكس العادات المتبعة فى مقابر المسلمين فى هذه المنطقة. وان الكتابة المحفورة على كل من هذه اللوحات فى خطوط عربية قديمة بحروف خالية من النقط. و تقهر من الكلمات المحفورة عليها أسماء أصحابها العربية الإسلامية مثل حسن و زيد و أمثالهما. و الوثائق التاريخية تدل على أنهم و صلوا إلى تلك البقعة من البلاد العربية قبل سنة ٦٠ من الهجرة.

و لدينا منقولات عديدة بروايات صحيحة على أن الإسلام قد انتشر فى كيرالا فى عهد النبي (ص)، خوفا من التطويل اختصر بما ذكر فمن يرجوا دلائل غير ما ذكر هنا فليراجع الى كتابى "المسلمون فى كيرالا". و ان الكتب التاريخية قد اجتمعت على أن أسرة الملك تشيرمان برمال قد انقرضت تماما فى القرن التاسع للميلادي. و ان وفود المسليمن قد وصلوا فى تلك الفترة الى حد كبير فى جميع أنحاء الهند. و خاصة فى ربوع مليبار وليس بخاف لمن له عقل سليم ان يستفيد و يفهم مما ذكر ان الإسلام قد انتشر فى ولاية كيرالا فى زمن النبي (ص).